

التمهيد

الخبر وأهميته:

قال العلامة ابن منظور: «الخبرُ بالتحريك: واحد الأخبار. والخبرُ: ما أتاك من نبأ عمن تستخبر، ابن سيده: الخبر: النبأ، والجمع أخبار، وأخبار جمع الجمع. فأما قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤]، فمعناه: يوم تزلزلُ تخبر بما عمل عليها، وخبره بكذا وأخبره: نبأه، واستخبره: سألته عن الخبر وطلب أن يخبره، ويقال: تخبرتُ الخبر واستخبرته، ومثله تضعفتُ الرجل واستضعفته، وتخبرتُ الجواب واستخبرته، والاستخبار والتخبر: السؤال عن الخبر، وفي حديث الحديبية: أنه بعث عينا من خزاعة يتخبر خبر قريش أي: يتعرف، يقال: تخبر الخبر واستخبر إذا سأل عن الأخبار ليعرفها» (١).

ونحن نعيش عصرًا تعددت فيه أدوات الاتصال، وتنوعت فيه وسائل الإعلام، وبفضل الله - سبحانه وتعالى - ثم بتوفر الإمكانيات العلمية والتقنية أصبح تبادل المعلومات يسير بسرعة مذهلة جدًا، فالخبر ينتقل شرقًا وغربًا في أقصر مدة متوقعة، فتلاشت الحدود والمسافات، وكأننا نعيش في قرية صغيرة لا يخفى منها شيء.

وفي كل يوم بل في كل دقيقة يطرق سمع الإنسان عشرات الأخبار المتنوعة في شتى مجالات الحياة، يختلط فيها الغث بالسمين، ويلتبس الحق بالباطل، وتضيع

(١) لسان العرب (١٢/٤) مادة: خبر.

الحقيقة بالخيال حتى أصبح الإعلام - بألوانه المختلفة - أخطر وسيلة يمكن أن تصوغ فكر الإنسان وتغير من تصوراته واتجاهاته الفكرية والسلوكية .

ولن أتحدث في هذه الرسالة عن موازين قبول الأخبار التي تبثها وسائل الإعلام العالمية ، فلهذا الفن أهله ورجاله . . . ولن أتحدث كذلك عن الأخبار التي يثيرها الدهماء بين عامة المسلمين . . . ولكني أحب أن أتحدث عن طرق تمييز الأخبار التي تنتشر بين أوساط العلماء والدعاة وطلاب العلم وجميع العاملين في حقل الدعوة الإسلامية ؛ لأنني أفاжأ بين يوم وآخر بكم هائل من الأخبار تنقل عن العلماء والدعاة . ثم تبني ردود أفعال متباينة حيال هذه الأخبار . . . وكثير من هذه المنقولات - بعجزها وبجرها - تثير ضغائن النفوس ، وتحيي النفس الغضبية عند الإنسان ، وتمزق العلاقات الكريمة بين المؤمنين ، وتصبح هذه الأخبار بعد ذلك إحدى معاول التدمير وأدوات التخريب والهدم ، بسبب قلة التحقيق والتثبت . وكما قال العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالى : «فالتحقيق قليل ، وطرفُ التنقيح في الغالب قليل ، والوهم نسيب للأخبار وخليل ، والتقليد عريق في الآدميين وسليل»^(١) .

وأحسب أن الذي يتطلب منا العناية والحرص ، ويقتضي مزيداً من البحث والنظر حتى لا نزل القدم في طريق شائك هو : كيف نتلقى الخبر ونفهمه فهماً جيداً ، ونصوغه صياغة دقيقة ، ثم كيف ننقل هذا الخبر بكامل الصدق والأمانة . ؟ !

ألا ما أكثر الناس الذين يحملون في أيديهم أخباراً ، حتى إذا سألتهم : من أين لكم هذه الأخبار . ؟ أسقط في أيديهم ، وتلعثمت ألسنتهم ، وتباطأت

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٤) .

كلماتهم . . ولم يجدوا جواباً مقنعاً - حتى لأنفسهم - لأنها في الحقيقة ليست ثابتة من مصادر دقيقة، بل هي أوهام تجمعت من هنا وهناك . . . !! .

قال العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالى: « . . . لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب . . . فرمما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق، وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار، فضلوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط»^(١).

وللناس طرائق شتى في تحمل الأخبار ونقلها، ويتفاوتون في ذلك تفاوتاً كبيراً، فإن نقل الخبر فن دقيق لا يحسن الخوض في غماره إلا قلة من الناس؛ فهو يحتاج إلى فطنة وتيقظ . . . ثم إلى حفظ وثبت . . . ثم إلى صدق وأمانة.

من أجل هذا كان لزاماً علينا أن ندرس الأخبار، وطرق تمييزها، وكيفية نقلها، حتى تستقيم جميع أحوالنا على المنهج الشرعي الأصيل، الذي ارتضاه الله لعباده المؤمنين، خاصة في هذا الزمان الذي كثرت فيه الفتن، وانتشر فيه الاختلاف والتنازع.

* * *

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٩ - ١٠).